مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٢/٦/١٦

بصراحة يكتبها محمد حسنين هيكل

١ - حالة اللاسلم واللاحرب

من المســـــئول ؟

الوضـــع الراهـــن في أزمة الشرق الأوســـط لامثيل له في اى أزمة في العالم اليوم ، وليس له نظير في المشاكل التى رأتها الدنيـــا ـــ على الأقل في ربع القرن الأخير ، ومنـــذ وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها !

ان تلك الفـــترة الجـــافلة شـــهدت اشـــكالا والوانا من التمـــوجات والتفـــاعلات والتقلصات والتصادمات ـــ لم يتوقف خلالها أزيز الرصاص أوتدفق الدم :

- **حروب أهلية** [في اليونان وايران وغيرهما] .
- **حروب محلية** [في كوريا وفيتنام وغيرهما] .
- **وقفات على حافة الهاوية** [في أزمة الســـويس وازمـــة الصواريخ الكوبية وغيرهما]
- **ثورات ســـاخنة وباردة** [ساخنة من نوع الثورة لتحقيق الوحـــدة العربيـــة ، وباردة من نوع الثورة لتحقيق الوحدة الاوروبية] .

□

ان البشرية عاشت خلال هذه الفترة في جو غريب من اللاحرب واللاسلم ، ولـــكن هـــذا الجو كان **حالة عامة ، ولم يكن وصفا لحدث من هذه الاحـــداث على وجه التخصيص .**

بمعنى أن هـــذه الأحـــداث تلاحقت وتعاقبت ، لكن كل حدث منها أخذ مساره ووصل بشكل ما الى حل او الى شبه حل او الى طريق نحو الحل ، ثم انزاح من وســـط المسرح واخـــلى الاهتمام لغيره .

كانت حالة اللاسلم واللاحرب حالة عالمية عامة من تلاحق وتعاقب الاحداث الخطيرة .

ولكن هذه الحالة لم تمسك بخناق حدث معين ، ولم تلصق نفسها به الا فى أزمة الشرق الأوسط ، لدرجة أن هذه الأزمة أصبحت تحتاج الى تشخيص جديد يجتهد فيه أساتذة العلوم السياسية ، لأن القواعد الحالية للقياس كلها لم تعد تنطبق ، تماما كما يحدث لأساتذة الطب حين يفاجأون تحت المدسات بميكروب جديد لم تقع عليه عيونهم من قبل قط !!

□

وكان اساتذة العلوم السياسية وحتى الآن ، لا يجدون غير ستة مخارج بالعدد من أى « بؤرة أزمة » ـ يرصونها على النحو التالى :

1. **التجنب الاختيارى للمواجهة** [كما فعلت الصين حين آثرت أن تنحى جانبا فكرة تحرير فورموزا وهى جزء من التراب الصينى] .
2. **الغزو بالقوة** [كما فعلت اسرائيل سنة ١٩٦٧] .
3. **الخضوع للقوة** [كما فعلت دول المحور الثلاث ايطاليا والمانيا واليابان واستسلمت بلاقيد أو شرط لارادة الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية] .
4. **المساومة على حل وسط** [كما حدث فى أزمة برلين وكانت

لقطة الاحتكاك فى أزمة الأمن الأوروبى] .

٥ اللجوء الى طرف ثالث [كما حدث فى استقلال البحرين بعد تقرير من بعثة خاصة أوفدها السكرتير العام للأمم المتحدة] .

٦ التسوية السلبية أو القبول مؤقتا بالأمر الواقع [كما فعل ذوالفقار على بوتو مع الهند بعد استقلال بنجلاديش] .

□

غير هذه المخارج الستة — حتى الآن — **لم يعثر اساتذة العلوم السياسية الحديثة على مخرج سابع من بؤرة اى ازمة.**

ولكن المخارج الستة لم تعد تنطبق على ازمة الشرق الأوسط ولعل بعضها جرت محاولته فيها ولم ينجح كما ان بعضه الآخر مستحيل بحكم الظروف .

● التجنب الاختيارى للمواجهة **مستحيل** لأن المواجهة قائمة فعلا .

● الغزو بالقوة **مستحيل** بسبب الموازين المحلية والدولية وقد جربته اسرائيل سنة ١٩٦٧ ولم يحقق لها النتيجة السياسية المطلوبة .

● الخضوع للقوة **مستحيل** لأن الأمة العربية تملك الكثير من مقومات الاستمرار فى الصراع .

● المساومة على حل وسط **لم تنجح** وكان قرار مجلس الأمن فى حقيقته شيئا من ذلك .

● اللجوء الى طرف ثالث **لم ينجح** وقد جربته الدول الاربع الكبرى كما ان الدولتين الأعظم — الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى — جربتاه فيما بينهما.

● التسوية السلبية او القبول مؤقتا بالأمر الواقع **غير مطروح اطلاقا** لأن الأوضاع فى الشرق الأوسط تختلف عنها فى شبه القارة الهندية .

□

واذن نجد امامنا على مسرح الشرق الأوسط شيئا غريبا !

حالة من اللاسلم واللاحرب تمسك بخناق ازمة بالتحديد وتلصق نفسها بها !

كان الزمان تجمد عند لحظة معينة ، او كان التاريخ توقف عند يوم بذاته !

وهذه ليست حالة غريبة فحسب ولكنها جريمة تاريخية اذا سمحنا باستمرارها .

ذلك لأن استمرارها عبء على ارادتنا وعلى مواردنا وعلى اعصابنا لا يمكن احتماله الى مالا نهاية .

واستمرارها معناه :

اننا رفضنا **السقوط بالصدمة** يومى ٩ و ١٠ يونيو ١٩٦٧ ، ولكننا نستدرج الى **السقوط بالتآكل** فى يوم من الأيام .

ومع أننى لا أريد أن استبق النتائج فاننى اقول على الفور ودفعا لأى لبس او تأويل :

ـ انه يتعين على مصر بقوة السياسة وبقوة السلاح ان تكسر وبأسرع ما يمكن حالة اللاسلم واللاحرب التى تمسك الآن بخناق ازمة الشرق الأوسط وتلصق نفسها بها » .

اقول ذلك واتذكر رسالة من شارل ديجول الى جمال عبد الناصر فى ذروة الشعور بالمحنة سنة ١٩٦٧ وفى تلك الرسالة قال ديجول بقدرته الفذة على الرؤية التاريخية :

ـ ليس فى وسعى ان اقول لك مايجب ان تفعله او لاتفعله.

ولكن لدى نصيحة صديق اضعها امامك .

لاتدع الأزمة مهما كان الثمن تصل الى المنطقة المائعة بين اللاسلم واللاحرب .

لابد ان تكون ازمتكم بكل الوسائل ساخنة باستمرار ولابد ان تكون موجودة طول الوقت امام العالم مصدر قلق لايهدأ .

كأنها قنبلة موقوتة فوق مائدة يجلس من حولها الآخرون ! » .

واذا عدنا الى سياق الحديث ، بعد استباقه بهذه النتيجة ، فاننا سوف نجدانفسنا مطالبين بتقليل من البحث والتحليل .

اذا كان استمرار اللاسلم واللاحرب ليس مجرد حالة ...

اعنى اذا كانت هذه الحالة ـ مع ظروفنا ـ **جريمة ...**

اذا كان ذلك ... فمن المسئول ؟!

□

ان هذا السؤال ليس سؤالا افلاطونيا او مجردا ، وانما هو سؤال فى الصميم .

لان تحديد المسئول سوف يجعل الامساك بتلابيبه ممكنا ، كما ان ذلك هو الطريق الى انزال العقاب .

ولقد يفيدنا اسلوب التقصى الجنائى هنا فى تحديد المسئول.

واسلوب التقصى الجنائى التقليدى يبدا اولا بسؤال آخر هو :

ـ من المستفيد من الجريمة؟

اذا استطعنا ان نتوصل الى تحديد المستفيد من الجريمة... اذن فقد قطعنا نصف الطريق او اكثر نحو حل اللغز .

واذن وبالتطبيق العملى على ازمة الشرق الأوسط .. فانه آن لنا ان نسأل :

ـ من هو ـ او من هم ـ المستفيد او المستفيدون ـ من حالة اللاسلم واللاحرب التى نعتبر استمرارها اكثر من مجرد حالة تعترى نضالنا وانما نعتبرها جريمة تقع عليه ؟! » .

ان ازمة الشرق الاوسط متعددة الأطراف ولكننا نستطيع ان نقول بصفة عامة ان فيها اربعة اطراف اساسيين .

● **هناك طرفان محليان بينهما المواجهة المباشرة وهما : اسرائيل ومصر .**

● **وهناك طرفان دوليان يقف كل واحد منهما ـ بدرجة متفاوتة ـ وراء الطرفين المباشرين وهما : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .**

اى :

● ان هناك طرفين محليين مباشرين فى الازمة : اسرائيل ومصر .

● وهناك طرفان دوليان **مؤثران** فى الازمة : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

والسؤال الآن :

ـ من من هؤلاء الأطراف يستفيد من حالة اللاسلم واللاحرب ؟ » .

واذا بدا السؤال للوهلة الأولى مزعجا لانه يضع كل الأطراف بغير استثناء فى دائرة واحدة ـ فلنذكرانه فى أسلوب التقصى الجنائى لايوجد طرف معفو من الشبهة مقدما !

الكل فى دائرة الاشتباه حتى يخرج منها بالتقصى الدقيق !

وعلينا الآن ان نمسك بكل طرف وان نتحرى موقفه بدقة وبغير حرج مهما كان مصدره :

● **هل يمكن** أن تكون اسرائيل « مستفيدة » من حالة اللاسلم واللاحرب ؟

● **هل يمكن** أن تكون مصر « مستفيدة » من حالة اللاسلم واللاحرب ؟

● **هل يمكن** أن تكون الولايات المتحدة « مستفيدة » من حالة اللاسلم واللاحرب ؟

● **هل يمكن** أن يكون الاتحاد السوفيتى « مستفيدا » من حالة اللاسلم واللاحرب ؟

قد نجد مناسبا ان نبدا بتحرى موقف اسرائيل ازاء حالة ـ او جريمة ـ اللاسلم واللاحرب . وسبب البدء باسرائيل بدهى لان دورها واضح وابعاده مكشوفة .

وبدون ان نقسف مع اسلوب التقصى الجنائى ـ فاننا نستطيع ان نقول وبغير تجن :

ـ نعم ان اسرائيل مستفيدة من حالة ـ او جريمة ـ اللاسلم واللاحرب لعدة مجموعات من الاسباب نوردها على النحو التالى :

■■■ اولا ـ مجموعة اسباب نفسية : والعامل النفسى فى حياة الجماعات مهم بدرجة أهميته فى حياة الأفراد ، **ومجموعة الاسباب النفسية الاسرائيلية كما يلى :**

❶ ان اسرائيل تدرك انها وصلت الى أقصى خطوط يمكن أن تصل اليها بالقوة المسلحة: خط قناة السويس ـ خط نهر الاردن ـ قمة المرتفعات السورية ، وتدرك اسرائيل فى نفس الوقت ان أى حل سلمى سوف يأخذ من هذه الخطوط ولن يضيف اليها .

واذن فانه من الطبيعى ان تحاول البقاء عليها أطول فترة ممكنة خصوصا اذا لم يكن هناك مايرغمها على التخلى عنها .

❷ ان اسرائيل تعتبر تمسكها بهذه الخطوط الى أطول فترة ممكنة يخلق لدى العرب عادة التعود على وجودها بالقرب منهم وهذا اعتبار توليه اسرائيل اهتماما كبيرا .

والتقديرات الاسرائيلية ـ فيما هو معلن ـ تتحدث عن التمسك بالخطوط الحالية ـ مادام ذلك ممكنا ـ الى فترة تتراوح بين عشر سنوات وخمس عشرة سنة .

❸ ان الجيل الحاكم فى اسرائيل ـ جولدا مائير وسابير وحتى ديان وايبان ـ سوف يعتزلون القيادة فى وقت ما خلال هذه الفترة ـ **واذن فلماذا يتخلون طواعية عن خطوط وصل اليها السلاح الاسرائيلى بينما هم يستطيعون ان يحتلوا مكانتهم فى تاريخ اسرائيل باعتبارهم الواصلين الى هذه الخطوط ، ولماذا لايتركون التراجع عنها لجيل غيرهم اذا كان هناك مايضطر هذا الجيل الى التراجع ؟**

■■■ ثانيا ـ مجموعة اسباب عملية تتعلق بالمجتمع الاسرائيلى ذاته وكيانه وبنيانه، وحالة اللاسلم واللاحرب تكفلها وتحققها دون مخاطر كبيرة وهى كما يلى :

❶ **السيطرة على التفاعلات داخل المجتمع الاسرائيلى** وتحقيق عملية تذويبه وصهره بكل مافيه من شتات الارض ، وتلافى الانقسامات الحادة وهى علامة ظاهرة من علامات التاريخ اليهودى عموما ، والخروج من هذه العملية بقومية اسرائيلية ـ متعسكرة تقريبا ـ يجرى بناؤها تحت دعوى الخطر خصوصا اذا أمكن ان يكون هذا الخطر بغير نار .

❷ **فرض قيود الحياة تحت اقتصاد حرب بدون حرب فعلية** وما يستتبعه ذلك من بناء صناعات متطورة وتعبئة لكل الموارد ، وبالتالى تحقيق حالة عمالة كاملة يمكنها ان تستوعب مخاطر التفاعلات الاجتماعية وكانت هذه التفاعلات مرئية قبل سنة ١٩٦٧ وعكست نفسها فى حقيقة أن الذين كانوا يهاجرون

من اسرائيل كانوا اكثر عددا من الذين يهاجرون اليها .

❷ اتاحة الفرصة لمحاولة وضع خريطة لاسرائيل عن طريق استكشاف التضاريس الطبيعية والبشرية التي يمكن ان تستوعبها هذه الخريطة دون قلاقل فى المستقبل .

مع العلم بان خطوط الحرب لا تصنع بالضرورة حدودا ، كما أن حدود التسوية قد لاتكون هى الحدود المطلوبة .

واما حالة اللاحرب واللاسلم فانها تفتح الباب للتجربة العملية خصوصا اذا حصلت على الوقت الكافى دون تحد يصدها .

■■■ ثالثا ـ مجموعة اسباب تتعلق بمصر بالذات مع العلم بان مصر هى العدو الاساسى الذى تتوجه اليه اسرائيل بمخططاتها باعتبارها مركز الثقل فى العالم العربى .

ونلاحظ هنا ان استمرار بقاء اسرائيل على الخطوط الحالية ، مع استمرار وقف اطلاق النار، وهذا هو ما يعبر عنه بحالة اللاسلم واللاحرب ـ يمكن ان يؤدى الى الاثار التالية :

❶ يؤدى الى خلخلة النظام المصرى الذى تعتبره اسرائيل ركيزة المقاومة فى المنطقة ضدها .

ان هذا النظام سوف يستنزف نفسه استعدادا لكنه مع بقاء حالة اللاسلم واللاحرب سوف يقف دون الانجاز .

وفضلا عن الاستنزاف فلسوف تنشا فجوة ـ كما يقول آرثر كوستلر ـ بين الوعد والتحقيق .

ان النظام لايستطيع مع استمرار احتلال الارض الا ان يعد بالتحرير .

واذا مااستمر الوضع الراهن فسوف يبدو قصوره عن تحقيق ماوعد به .

وهنا تنشا فجوات تصديق لاحدود لاثارها :

فجوة تصديق بين القيادة والقاعدة ـ فجوة تصديق بين الجيش والشعب ـ فجوة تصديق بين الشباب والشيوخ ـ فجوة تصديق بين الاعلام والراى العام .

وهذه الفجوات كلها سوف تكون المهاوى التى يقع فيها النظام المصرى كله .

❷ يؤدى الى خلخلة الرابطة بين مصر وبقية الامة العربية لان مصر اذا عجزت عن دورها باعتبارها الطليعة والقلعة فان ماسوف يتبقى منها لن يكون الا حشدا سكانيا هائلا يشكل عبئا على بقية الامة العربية ولايعطيها ميزة تتحصن بها .

وكان هذا هدفا استعماريا ثابتا واسرائيل الان تواصل تنفيذه .

❸ يؤدى الى فك الصداقة بين مصر والاتحاد السوفيتى لان هذه الصداقة سوف تطغى عليها امواج الشك سواء فى اصالتها او فى جدواها لان السلاح السوفيتى سوف يبدو بين احد احتمالين : اما انه غير نافع واما انه غير كاف . ولقد رات اسرائيل ان الصداقة العربية السوفيتية بدات سنة ١٩٥٥ عن طريق الحصول على السلاح ، وتتمنى اسرائيل ان ترى نهاية لهذه الصداقة العربية السوفيتية عن طريق عدم الحصول على السلاح النافع والكافى .

وفى كل الاحوال فان اسرائيل تريد بفك الصداقة بين مصر والاتحاد السوفيتى ان تباعد بين مصر وبين اهم اصدقائها القادرين على مساعدتها سواء فى ثمن الحرب للتحرير او فى بناء السلام للحرية .

■■■ رابعا ـ مجموعة اسباب تتعلق بالعالم العربى ، واذا ماتخلخلت علاقاته بمصر مع استمرار حالة اللاسلم واللاحرب ، فسوف تحدث الآثار التالية :

❶ ان الدول العربية المحيطة باسرائيل سوف تتحول الى شظايا يسهل ابتلاعها او اجزاء منها ـ جنوب لبنان مثلا ـ فى الوقت المناسب .

ونتيجة لذلك فان مجتمعات هذه الدول العربية سوف تشهد زوابع يسببها العجز والعزلة وسوف تفرق هذه المجتمعات فى دوامات داخلية تمتص قدرتها على المقاومة الى زمان طويل .

❷ ان العالم العربى فى هذا الوضع سوف يكون مهيأ لقبول دور اسرائيل باعتبارها الدولة المسيطرة فى المنطقة ، وحتى بغير معاهدات مكتوبة فان السيطرة الاسرائيلية سوف تكون ارادة قاهرة وغلابة لايمكن الوقوف امامها .

❸ ان مرور السنين ـ مع حالة اللاسلم واللاحرب ـ سوف يكسر مابقى من حوافز المقاومة لدى المواطنين العرب فى الارض المحتلة وسوف يواجههم مع صباح كل يوم بضرورة الخضوع لسيادة الدولة الاسرائيلية .

■■■ خامسا ـ مجموعة اسباب دولية ، تحققها اسرائيل من استمرار حالة اللاسلم واللاحرب وهى كما يلى :

❶ ربط الحركة اليهودية العالمية بحياة اسرائيل شهيقا وزفيرا ، والحرب قد تجعل الجاليات اليهودية فى العالم تضغط على اسرائيل لكى تخفف من غلوائها كما ان السلم قد

يدفع هذه الجاليات الى الانصراف عن اسرائيل .

٢ تكثيف التاثير الاسرائيلى على السياسة الامريكية وتصوير اسرائيل بمظهر المدافع عن المصالح الامريكية فى منطقة حرجة : صحيح ان النار فيها ساكنة ولكن النار يمكن أن يشعلها عود كبريت على ارض مفروشة بالالغام .

٣ استمرار صورة اسرائيل امام بقية العالم باعتبارها دولة صغيرة مهددة : حاربت وانتصرت ولكنهم من حولها متجمعون يريدون اختطاف انتصارها من قبضة يدها وقرتها المحدودة ازاء اعداء يملأون الارض من المحيط الى الخليج !!

والسلم قد يلغى هذه الصورة ، والحرب قد تدفع الاخرين الى الاهتمام بمصالحهم فقط ..

واذن فاللاسلم واللاحرب افضل المواقف واكثرها فائدة .

ولقد يسال بيننا من يسال :
ـ اليست هناك ضرائب قد تدفعها اسرائيل على ذلك كله .

ضريبة فقد عطف الراى العام العالمى وهو يرى موقفها المتعنت .

او ضريبة ضيق مجتمع الدول بها وهو يراها تضرب عرض الحائط بمواثيقه وقراراته .

والرد على هذا السؤال هو:

ـ ان ذلك كله جائز وارد ولكن اثره ضعيف لان الامر الواقع له قوته خصوصا بالنسبة لهؤلاء الذين لا يعانون منه مباشرة .

□

ونخلص من هذا الى ان اسرائيل اول مستفيد من حالة اللاسلم واللاحرب ثم نستخلص من ذلك مباشرة :

ان كسر حالة اللاسلم واللاحرب وبكل الوسائل ضرورة حيوية قصوى اذا كانت ارادتنا تتعارض مع ماتريده اسرائيل .

ان حالة اللاسلم واللاحرب جريمة تريد لها الاستمرار .

واذن فان كسرها بكل الوسائل ـ وبالحساب من فضلكم ـ هو وحده العقاب !!

محمد حسنين هيكل